

ضرورة الإيمان بالوعد الإلهي

المكان: طهران

الزمان: ٢٥/٥/١٣٩١ ش. ٢٦/٩/١٤٣٣ هـ. ١٥/٨/٢٠١٢ م.

الحضور: جمع غفير من الأسرى الأحرار

المناسبة: لقاءات رمضانية

بسم الله الرحمن الرحيم

أرحب بكم أيها الإخوة الأعزاء، الجواهر المستعادة من كنوز الإيمان في الجمهورية الإسلامية. طوال قرون متوالية يتبدّل العنصر الجامد الضئيل القيمة إلى ماسة، وقد كانت لديه القابلية منذ البداية على التحوّل إلى هذا الشيء الثمين. وفترة الأسر زمن مضغوط يحتوي قروناً تبدّل الأفراد ذوي القابلية إلى ماسات متألّقة متألّثة هم الأسرى الأحرار. أنا سعيد للقاء اليوم، وآسف لأنّي قليل التوفيق للقاء بكم أيها الأحرار الأعزاء في مثل هذه الجلسات. من خلال اجتماعكم في هذه الجلسة المعنوية الحميمية الأخوية أهدي السلام لكل الأسرى الأحرار في جميع أنحاء البلاد.. قرابة أربعين ألف أسير حرّ خبر المحن وصار ذا مكانة عالية وتربّي في عهد الصعاب.

قضية الأسر ممكنة البحث من أبعاد وزوايا مختلفة. أحد هذه الأبعاد هو هذه المذكرات القيمة التي ذكرها الأعزاء وتحدّثوا عنها. وقد طالعت بالطبع عدداً من الكتب الخاصة بمذكرات الأسرى الأحرار، وما يتعلق بسيدنا العزيز الجليل سيد الأسرى الأحرار المرحوم

أبوترايبي. يمكن التخمين بأن ما قيل في الكلمات والكتابات الخاصة بفترة الأسر ما هو إلا جزء بسيط وصغير من قصة طويلة، ولا نزال بحاجة إلى سماع هذه القصة الطويلة.

وأقولها هنا للإنصاف إن ما أنجز طوال هذه الأعوام الإثني والعشرين التي مضت على عودة أسرانا الأعزاء وأحرارنا الشامخين هو قليل. يجب أن يكون لنا أضعاف الكتب التي كتبت لحد الآن في هذا الخصوص. وينبغي أن تكون لنا أفلامنا المميزة عن وضع أسرانا الأحرار في المعسكرات والسجون. لاحظوا كم أنتج الغربيون وشركات الإنتاج السينمائي الكبيرة من الأفلام عن قصص وأحداث الأسر في الحرب العالمية الثانية أو الحرب العالمية الأولى.. أفلام جيدة وبارزة. والحال أن ما يعرض في تلك الأفلام يشير إلى الروح المادية لأولئك الأسرى الذين وقعوا في الأسر، ويلوح ذلك في حياتهم وكلامهم وتعاملهم. وقد سمعت أن مأمور الصليب الأحمر كان يقول لأسرانا الأحرار أثناء فترة أسرهم إنه حينما يزور معسكرات أسرى الحرب في البلدان الأخرى يجد اليأس والكآبة والمازوخية والانتحار وما إلى ذلك، فلماذا لا نشاهد لديكم هذه الحالات؟ وكان يجب عليه أن يطرح هذا السؤال.

والجواب معلوم وواضح: حينما يمتزج القلب بالمعنوية ويتعرف على الله فستكون هذه هي النتيجة. حينما يتعرف قلب الإنسان على الله ويشعر بالارتباط به والثقة به والاعتماد والتوكل عليه ولا يشعر أنه وحيد، وحينما يشاهد في داخل الزنزانة الضيقة المعدة للتعذيب جنة معنوية - كما جاء ذلك في كلمات هؤلاء الأعزاء وفي مذكراتهم التي كتبوها - فلن يعود للكآبة من محلّ ولا لليأس من مكان، ولا للانتحار من معنى. هذا جانب من القضية

هو أننا ينبغي أن نطلع أكثر على كل ذرة من ذرات هذا البحر العميق الواسع - الذي هو حيات الأُسرى الأحرار - ونحن غير مطلعين.

يجب إنتاج أفلام جيدة وكتابة كتب جيدة وينبغي سرد الخواطر والذكريات. هذه الذكريات التي ذكرت اليوم فيها عالم كبير من الكلام. ما أجمل أن تُنشر. في رأيي أن تبثّ نفس هذه المذكرات التي ذكرت اليوم من الإذاعة والتلفزيون ليسمعها الناس. هذه أرصدتنا ورساميلنا وكنوزنا. هذه الأرصدة هي التي حفظت الإسلام والتشيع وحققت الاقتدار والعزة للجمهورية الإسلامية، وجعلت الشعب الإيراني شامخاً مرفوع الرأس في العالم. هذا أحد أبعاد القضية.

البعد الآخر للقضية هو مسألة العبرة والسنة الإلهية. إننا في فترة حياتنا الدنيوية القصيرة.. هذه العقود التي نعيشها في الدنيا.. نواجه التحديات دوماً. لدينا دوماً تحدياتنا مع الاستكبار وأمريكا. ثمة تحديات متنوعة، ولكن في وضع الثورة الإسلامية هناك تحديات داخلية، وتحديات مع الشيطان، ومع النفس الأمارة بالسوء، ومع المهيمين والاحتكاريين والجمشعين والاستكبار. نحن بحاجة إلى هذه العبر والتأملات والتعمق في السنة الإلهية. يوم كان أسير الحرب المفروضة الإيراني، الشاب المتدين يعيش في تلك المعسكرات بتلك الأحوال والأوضاع، أو في تلك الزنازين بذلك التعذيب، ربما لم يكن له بحسب الظاهر كوة أمل يتطلع منها، وربما كان يتصور أن هذا الوضع سيستمر لسنوات أطول ولن ينتهي إلا بالموت والقتل. وانظروا اليوم إلى الواقع ولاحظوا ماذا حدث، أين أولئك وأين أنتم؟ هذه عبرة.. هذا مؤشر على صحة الوعد الإلهي وصدقه.

لنؤمن بالوعد الإلهي.. لنؤمن ولنعتقد اعتقاداً عميقاً بصدق الوعد الإلهية. إذا قال: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (١) فلنفهم معنى هذا الكلام. يوماً كنتم تواجهون جلاوزة التعذيب أو رئيس السجن أو المأمور البعثي بكل تلك الضغوط، واليوم يواجه الشعب الإيراني أمريكا بهذه التحديات. والقضية نفس القضية. {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}. إنَّ وعد الله حقّ. والذين لا يؤمنون بوعد الله يطردهم الله ويلعنهم ويبعدهم عن ساحة رحمته. إنَّ وعد الله حق. واليوم أيضاً يواجه الشعب الإيراني نفس الحالة. لو عملنا بالشروط التي يذكرها الله تعالى - كما عملتم أنتم خلال فترة الأسر بهذه الشروط - فإن النصر سيكون من نصيب الشعب الإيراني بالتأكيد.. هذه عبرة.

الذين كانوا يقولون لكم إنكم ستبقون في السجن إلى الأبد، أو يقولون لكم إنكم ستعدمون، ألقوا هم أنفسهم في مزبلة التاريخ، وأعدموا وسحقوا هم أنفسهم، وأنتم اليوم والحمد لله تعيشون في الجمهورية الإسلامية شامخين أعزاء مرفوعي الرؤوس. هذا درس. لقد مررنا وجرّينا هذا الدرس مرة في الماضي. بعضنا لم يكن يصدّق، فلقد كان القمع والإرهاب والضغوط شديدة في عهد الطاغوت. وكان البعض يقولون لنا إنكم تكافحون وتقاومون عبثاً، ولكن كان البعض يقولون: لا.. {صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَصَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢). لقد أراد الله تعالى أن تقع حادثة لم يكن

(١) سورة الحج: الآية ٤٠ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

ليصدّقها أي إنسان في العالم. لا أن أحداً في إيران لم يكن ليصدّقها، بل لم يكن ليصدّقها أحد في كل العالم. لم يكن أحد ليصدّق أن ما يعتبره الأميركيان جزيرة الاستقرار سيتعرّض لهذا الطوفان الذي يؤدي بالتالي إلى عزلة أمريكا وعزلة الاستكبار وعزلة بريطانيا وعملاؤهم المرتزقة. وكذا الحال اليوم أيضاً.

لاحظوا العالم اليوم أيضاً وسترون علامات ذلك بادية. قلنا مراراً إن العالم يمرّ بفترة انتقال إلى وضع جديد وحالة جديدة. سلوكنا ونوايانا وأعمالنا مؤثرة وحاسمة في تكوين هذا الوضع الجديد. ومن أجل أن نكون رابطي الجأش وأقوياء القلوب ولا نضيع الطريق فإن حياتكم وتجاربكم أيها الأحرار مثل نجوم الاهتداء بالنسبة لنا.

إنني أعتقد وأؤكد على أن تسرد أحداث الأسر وتكتب وتصور وتنتج منها أعمال فنية فاخرة. وليس معنى هذا دعم شريحة معينة أو الدفاع عن حدث معين. بل هو بمعنى إضاءة وتكريس وتعزيز وثيقة انتصار الشعب الإيراني، وهو ما يجب أن يتمّ ويحصل. أطلب من فئاني بلادنا ومسؤولي وسائل الإعلام أن يقوموا بهذه المهمة، وعليكم أنتم أن تساعدوا في ذلك. ولحسن الحظ كما يلوح من كلمات الأعداء هنا، وأنا بدوري لست عديم الاطلاع، ثمة وثائق كثيرة، مضافاً إلى أنكم بأنفسكم ووثائق حية، فاستعينوا بذكرياتكم واسردوا ما حدث دون زيادة أو نقصان ودون إفراط أو تفريط. وحينما تكون تلك الأحداث مصحوبة بالتعبير الفني فسوف تحدث عاصفة في القلوب والأرواح. هذا أيضاً بعد آخر من أبعاد أسركم وتحزركم.

والبعد الآخر هو بعد الثواب الإلهي. في اليوم الأول الذي دخل فيه الأحرار الأعزاء إلى البلد، والتقىنا بعدد منهم - ربما عدة آلاف منهم - في هذه الحسينية، وألقى السيد العزيز الجليل المرحوم أبو ترابي كلمته، تلاطم قلبي لمشاهدة هذا المنظر وهؤلاء الشباب واستعادة هذه القيم الكبرى التي عادت إلينا، وقلت اعلموا أن كل لحظة من لحظات عمركم محفوظة في السجّل الإلهي. والآن أيضاً لا أزال على نفس العقيدة. كل واحدة من هذه اللحظات محفوظة عند الله تعالى.. اللحظات التي لا تقبل الوصف، ولا يمكن التعبير عن عمقها بأي بيان، وقد أمضيت مثل هذه الساعات واللحظات لسنين. لا تسقط من الديوان الإلهي حتى قطرة واحدة من جهادكم، وحتى لحظة واحدة من لحظات الشدة التي مررت بها. نحن ننسى وأنتم أنفسكم تنسون، لكن الكرام الكاتين الإلهيين لا ينسون، فتلك الأحوال الجهادية محفوظة. ولكن حاولوا أن تحفظوها، وهذه نصيحة لأنفسنا ولكم أيها الأعزاء.

أجر الأسرى الأحرار في جانب، وأجر عوائلهم - زوجاتهم وأبنائهم وآبائهم وأمهاتهم وأقاربهم - في جانب. حينما كنّا نتوقف لزيارة بيت شهيد واللقاء بأبيه وأمه أو أقاربه، هناك يدرك الإنسان ما هي أحوال عائلة الأسير هذا وما هي مشاعرهم.. مشاعرهم أصعب وأشدّ مرارة من مشاعر عائلة الشهيد. قال لي شقيق أسير مفقود: هل رأيت ما هو حال عائلة لديها شاب في جبهات القتال ليلة العمليات؟ وهو على حق.. حينما تحلّ ليلة العمليات ويعلم الجميع أن لديهم الليلة عمليات تتلاطم قلوب العوائل التي لديها شباب في الجبهات. قال لي شقيق الأسير المفقود هذا إن كل ليلة بالنسبة لنا هي ليلة عمليات. قلوبنا

متلاطمة كل ليلة قلقاً على أبننا فما هو حاله ووضعه وماذا سيحصل له اليوم يا ترى؟ هذه هي الصعاب التي تحمّلتها العوائل، لذا فإن أجورهم جد كبيرة وعالية.

طيب.. كان هذا فصلاً من حياة الشعب الإيراني مرّ به وريح منه وانتفع. عزة الشعب واقتداره وصدارته في التاريخ رهن بجهد أبنائه. قد يكون هذا الجهاد في الجبهة أحياناً، وفي ساحات الأسر أحياناً، بهذه البطولات التي سطرتموها في ساحات الأسر.. كل هذا الصبر والاستقامة والصمود.. وقد استشهد البعض في فترة الأسر.. الشهيد تندگويان والكثير غيره ممن لم يعودوا من الأسر. ومعظمهم عادوا مرفوعي الرأس. نرجو أن يحفظ الله تعالى أجركم، وأن يرفع درجات الذين كانوا مؤثرين في هذه الفترة، ويقدمون الخدمات، ويرشدون الآخرين، وعلى رأسهم سيدنا الجليل العزيز المرحوم أبو ترابي.

طيب.. لدينا في الزمن الراهن قضية أساسية في العالم الإسلامي ألا وهي قضية القدس. فلماذا نقول إنها قضية أساسية؟ لأن مسألة التقسيم الخاطئ والهندسة المعيبة للشرق الأوسط - المنطقة التي نعيش فيها وبها بلداننا - قامت على أساس مؤامرة إسكان الصهاينة هنا. لو لم تكن هذه المؤامرة لربما كان وضع هذه المنطقة اليوم بشكل آخر. هذه الفواصل، وهذه الحروب التي وقعت في المنطقة، والتدخلات التي تمارسها القوى السلطوية المتعسفة في هذه المنطقة كلها ناجمة عن هذه القضية. ولهذا الأمر حكاية طويلة ومفصلة. ومحاولاتهم اليوم منصّبة على تهميش هذه القضية. وعلى العالم الإسلامي أن لا يسمح بذلك. حاولوا طوال سنوات متمادية محو أحداث فلسطين من الأذهان، وقد نجحوا إلى حدّ ما. أحداث كامب ديفيد وما تبعها - وهي من النقاط السوداء في تاريخنا المعاصر - كانت من أجل أن ينسى الناس في المنطقة أنه كان ثمة بلد اسمه فلسطين، لكن الذي وجّه ضربة قوية لهم وصفعهم على أفواههم هو الثورة الإسلامية والإمام الخميني الجليل. منذ اليوم الأول الذي انتصرت فيه هذه الثورة، بل وقبل انتصارها، أي منذ بدايات النهضة

كانت قضية فلسطين من القضايا الأساسية في هذه الثورة. وكانت كذلك من أسباب اهتمام العالم الإسلامي بهذه الثورة، هذا رغم وجود أسباب أخرى. ويحاولون اليوم إحباط هذا التأثير، وعلى العالم الإسلامي أن لا يسمح بذلك.

شغلوا العالم الإسلامي بشؤون هامشية. يظهر شخص يشير قضية السنة والشيعية، ويتحدث عن هلال شيعي. بالقرب منكم راح الصهاينة يضطهدون عدة ملايين من الفلسطينيين لستين عاماً ولا ترون ذلك، وتطرحون حكومة الجمهورية الإسلامية - التي رفعت هذه الراية وأعدت بناء هذه الملحمة في العالم - على أنها خطر؟! هل خيانة أسوء من هذه؟ الشعب الإيراني لم ولن يسمح. في هذا العام أيضاً سيهتّب الشعب الإيراني بتوفيق الله وإرادته ليحيي يوم القدس بحيث يوجّه بذلك صفة لأعداء الإسلام وفلسطين.

إثارة قضية فلسطين ليست عملية تكتيكية بالنسبة للجمهورية الإسلامية، بل هي قضية أساسية وجذرية ونتاجة عن العقيدة الإسلامية. من واجبنا أن نُخرج هذا البلد الإسلامي من سلطة ومخالب القوى العاصبة وحمايتها الدوليين ونعطيه لشعب فلسطين. هذا واجب ديني على كل المسلمين. من واجب كل الشعوب والحكومات الإسلامية أن تقوم بهذا. هذا واجب إسلامي. إننا ننظر لقضية فلسطين من هذه الزاوية، والآخرون أيضاً يجب أن ينظروا لها من هذه الزاوية. يجب أن لا يدخلوا هذه القضية في ألعيب السياسة والتبادلات السياسية والصفقات السياسية التي قد تكون خيانية أحياناً. إنها قضية دينية وعقيدية ويجب أن تتابع ولا تترك.

وأقولها لكم.. كما تألأت نجمة صباح الأمل، ذات مرة في الثورة الإسلامية، وذات مرة في الحرب المفروضة، وذات مرة في حياتكم أنتم الأسرى الأحرار، فإن شفق الأمل سوف يتألق بالتأكيد في هذه القضية أيضاً، وستعود فلسطين للشعب الفلسطيني يقيناً، وستمحي هذه الزائدة الكاذبة الزائفة من الخارطة الجغرافية.. هذا ما لا شك ولا ريب فيه.



والمسألة المحزنة في أيامنا هذه هي مسألة الزلزال، حيث أرى من اللازم أن أنبه وأؤكد عليها. لا شك أن كل الشعب الإيراني مفعوج وملتاع في هذه الحادثة التي وقعت لجماعة من أعزائنا وأبناء وطننا. وهي حادثة مريرة وقعت في أيام شهر رمضان. نتمنى إن يمن الله تعالى بعونه ولطفه على مسؤولينا الأعزاء ليستطيعوا التقليل من آلام الأهالي المتضررين بالزلزال في آذربيجان، ويعينهم إن شاء الله في تطوير عملهم. نسأل الله تعالى أن يمنّ عليهم بالصبر ويطمئن قلوبهم ويبعث فيها السكينة. نتمنى أن ينزل الله تعالى بركاته على شعبنا العزيز، ويجعل شهر رمضان هذا مباركاً بالمعنى الحقيقي للكلمة على شعبنا وعلى الجمهورية الإسلامية.

اللهم اشمل هؤلاء المعذبين في سبيلك برحمتك وبركاتك. اللهم منّ الأجر والشواب على كل الذين قطعوا خطوة في سبيل إعلاء كلمة الحق. اللهم احشر إمامنا الخميني الجليل الذي فتح لنا هذا الطريق مع أوليائك. ربنا احشر مع أوليائك شهداء فترات الأسر، والمتوقّين خلالها، والمرحوم المغفور له العالم المجاهد الصبور المدبّر وعبدك الصالح السيد أبو ترابي. وأحشر والده الجليل مع أوليائك. ربنا، وفقنا لخدمة الذين يستحقون خدماتنا الصادقة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.